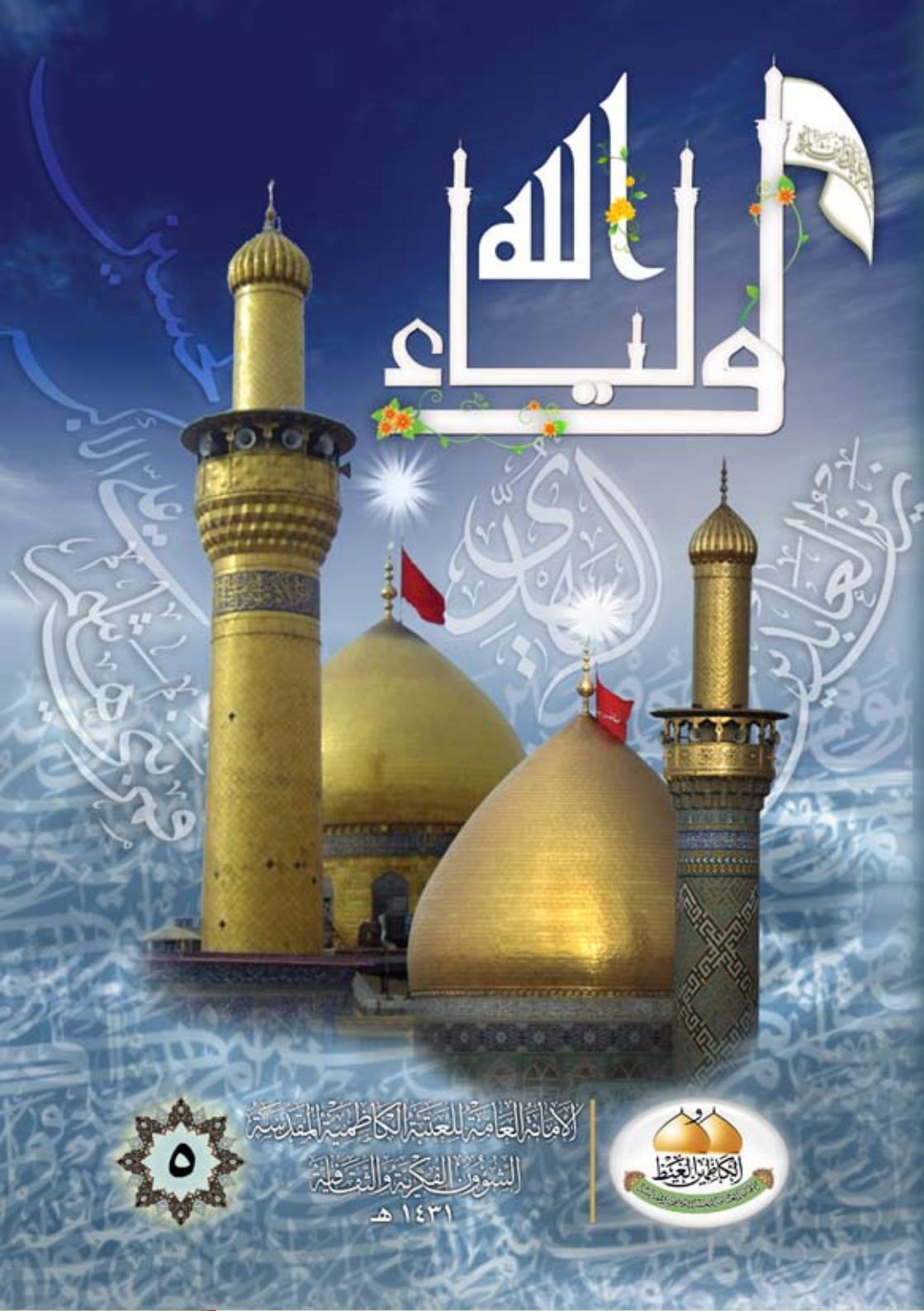
أولياء الله
٥
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣١ هـ
الكاظمين الغيظ

أولياء الله

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله كثيراً يعجز عن بلوغه الحامدون والثناء على من جعل أولياءه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خير الأنام محمد وآله الطيبين الكرام..

كانت مهمة خاتم الانبياء ضخمة وضخمة جداً وهي كما وصفها القرآن اخراج العباد من الظلمات الى النور وأزاء هذا الآخراج الذي هو ثورة في تاريخ البشرية وانقلاب على كل المستويات طلب صاحب الرسالة ـ بأمر الله سبحانه ـ أجراً مقابل هذا العمل الجبار فكان الاجر المطلوب هو مودة أهل بيته عليهم السلام ومن هذا نعرف أهمية هذه المودة وهي الحب الظاهر في العمل ومن آثار ذلك الحب ان الإنسان المحب يفرح لفرح حبيبه ويحزن لحزن من يحب وقد دأب اتباع اهل البيت عليهم السلام على الفرح لفرح أوليائهم والحزن لحزن أوليائهم فترى وعلى مدار السنة هناك ذكريات لسادتهم يحيونها تارة بالفرح وأخرى بالبكاء والعويل وهذا الصنيع هو مظهر من مظاهر المودة المأمور بها أولاً ، واقتداءاً بائمتهم ثانياً وهي محطات لاتصال الامة بائمتها ثالثاً واخذ الدروس والعبر من صاحب الذكرى رابعاً فهذه المناسبات هي محطات للتزود

والشحن ففي كل ذكرى سواء كانت ولادة إمام أو استشهاد أو بيعة أو غير ذلك فهي مشحونة بالقيم والمبادئ الإسلامية فعلى الموالي أن يأخذ شحنتهُ الإيمانية وقبل ان تنفذ هذه الشحنة وسيتغذى بشحنة ايمانية أخرى بمناسبة أخرى فيبقى طوال السنة مشحوناً بشحنات ايمانية مشدوداً الى قادته وسادته مرتبطاً بالقيم الالهية التي يمثلوها .

ومن مميزات شهر شعبان انه ينتسب الى النبي ﷺ فكما أن شهر رمضان هو شهر الله فأن شهر شعبان هو شهر رسول الله ﷺ «الذي كان يدأب في صيامه وقيامه في لياليه وأيامه بخوعاً لك في اكرامه واعظامه الى محل حمامه»[1]

ويمتاز أيضاً بأنه شهر ولادات كثيرة ففي الثالث منه شرف الوجود سيد الشهداء عليه السلام وفي الرابع منه ولد أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام وفي الخامس منه ولد زين العابدين عليه السلام وفي يوم الحادي عشر منه ولد علي الأكبر عليه السلام وفي ليلة النصف منه ولد الحجة القائم « ويجمعهم انهم ابطال الطف فالأول منهم هو قائد النهضة ، الثاني منهم هو حامل اللواء ، والثالث تّحمل اعباء اعلام المعركة ، والرابع منهم شبيه رسول الله ﷺ أول شهداء أهل البيت في الطف ،

(١) - . مفاتيح الجنان ٢٠٨.

امـا الخامس فهو الذي يتكفل بالفصل الأخير من النهضة الحسينية المقدسة.

ويجمعهـم ايضاً انهـم أولياء اللّه سـبحانه ودائماً يكون مقابـل أوليـاء اللّه أوليـاء الشـيطان وهـذه المقابلـة وهذا الاختـلاف يـؤدي حتماً الى صـراع ومعركـة يكتب فيها دائمـاً لأولياء اللّه النصر اما النصـر العاجل في هذه الدنيا أو النصر على مسـتوى القيـم والمبادئ وذلك إذا تطلب بقاء الإسـلام ذهاب الأنفس الزكية كما قال سـيد الشـهداء عليه السلام في رسالته لمحمد بن علي ومن قبله لبني هاشم «أما بعد فأن من لحق بي استشـهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام»[1].

(١) - .العوالم / الإمام الحسين / ١ـ٣٣٨.

«الـولاء والتولي ان يحصل شـيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهمـا مـا ليس منهمـا»[1] وبكلمة أخـرى «تحصل علاقة شـديدة بـين شـيئين بحيـث ترتفـع أي واسـطة بينهما ثم اسـتخدمت لقرب شـيء من شـيء آخـر بوجه مـن الوجوه كالقرب نسباً مثل علاقة الأخ بأخيه فإن جاء ثالث ليس أخٌ لهما فلا يستطيع التصرف بأي منهما إلا بإذن من أحدهما، أو مكاناً كالجار الملاصق له فلا يدخل بينهما آخر ولذلك يطلق الولي على كل مِن طرفي الولاية»[2]

ولازم هـذا القـرب الخـاص ان لأحـد طـرفي الولاية حق التصـرف ومالكيـة التدبـير للطرف الثانـي وليس لطرف ثالث هذا التصرف والتدبير الا بواسـطة طرفي الولاية على الطـرف الآخر فكل شـيء يتصـرف فيه الولـي ويمكن ان يخلفـه فيه غيره فهـذا الغير هو الولي لا غير فالإنسـان يتصرف بماله ما دام حياً فإذا مات كان هذا التصرف من حـق ولي الميت وكذلك ولي الصغـير هو الذي يتصرف في شؤون الصغير المالية بتدبير أمره وكذلك ولاية النصرة فأن الولـي هنا يتصرف هنا بأمر وليه من حيث تقويمه والدفاع

(١) - . المفردات / الراغب.

(٢) - . الميزان / ١٠/ ٨٩

عنه وكذلك كل انواع القرب في الولايات كافة كالمحبة والصداقة قال تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]

وغير ذلك من المعاني الكثيرة والتي يجمعها القرب الخاص الموجب للتصرف وتدبير الامر، وبكلمة أوضح معنىً «الأولى» قال تعالى ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[2] والنقطة المحورية ان الولاية عندما يكون طرفيها بشر فكل طرف يحتاج الى الطرف الآخر وهذا مالا يمكن تصوره بساحة المولى سبحانه فهو غني غير محتاج وبتعبير القرآن ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾[3] فبعد نفي مشابهة المولى لأحد في ذات أو صفة فلا يمكن ان يكون له ولد وبعد نفي الشريك ينفي ان يكون له ولي يعُز به كما تعز الناس بالولاية ﴿فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[4] فعزته سبحانه تنفي الشبيه وان كان دونه «الولد» والشبه المساوي «شريك» أو الأعلى منه «ولي» ومع ذلك نجد أن

(١) - . النحل / آية ٧١.

(٢) - . سورة الحديد / آية ٥١.

(٣) - . سورة الأسراء / آية ١١١.

(٤) - . سورة النساء / آية ١٣٩.

القرآن الكريم والسنة الشريفة يتحدثان عن أولياء الله وخصائصهم ومن أهم ذلك ما ورد في سورة يونس المباركة ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ هُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1] وخصيصة أخرى ذُكرت في سورة الجمعة المباركة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] ونستطيع ان نفهرس خصائصهم من هنا بما يلي:

١. ان أولياء الله لا طريق للخوف والحزن اليهم.

٢. أعلى درجات الإيمان.

٣. أعلى درجات التقوى.

٤. مبشرين في الدنيا والاخرة.

٥. يحبون لقاء الله سبحانه.

أما بيان الخصيصة الأولى فـ «ان الخوف انما يعرض

(١) - . سورة يونس / آية ٦٢-٦٤.

(٢) - .سورة الجمعة / آية ٦.

للنفس عن توقع ضرر يعود اليهم والحزن انما يطرء عليها لفقد ما تحبه أو تحقق ما تكرهه مما يعود اليها نفعه أو ضرره ولا يستقيم فحقق ذلك فيما جرى الانسان لنفسه ملكاً أو حقاً أصلاً فلا يخاف الإنسان عليه ولا يحزن لفقده البتة»[1] وهؤلاء يرون ان كل شيء ملك للّه سبحانه لا يشركه في هذا الملك أحد ، فليس لأي أحد أي ملك وبالتالي انقطع طريق الخوف وانقطع طريق الحزن فهم لا يخافون شيئاً ولا يحزنون على شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا أن يشاء اللّه منهم الخوف أو الحزن في موضع، فتراهم يسارعون في تلك المواضع استجابة لأمر ربهم بالخوف والحزن وقد امروا بالخوف من مولاهم بعد أن أخبرهم أن الشيطان يخوف أولياءه، ونهاهم عن الخوف منهم وامرهم بالخوف منه ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] فولي اللّه يخاف اللّه سبحانه ولا يخاف غيره خاصة اذا كان هذا الغير هو الشيطان وأولياؤه والشيطان هنا يطلق على الناس كما أطلق عليه في إحدى المعوذتين ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ﴾[3] ومنشأ خوف هؤلاء هو معرفتهم بجلال اللّه وعظمته وكبريائه اما منشأ الخوف عند غيرهم فهم

(١) - . الميزان / ج ١٠/٩١ .

(٢) - . سورة آل عمران / آية ١٧٥.

(٣) - . سورة الناس / آية ٤ـ٦ .

جناياتهم واقترافهم المعاصي والخوف من الدخول في النار وخوفه الناشئ من عظمة الله ـ والتي لا حدود لهذه العظمة ـ قطعاً يكون كبير خاصة عندما تكون معرفته بالمولى كبيرة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّه مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾[1] وهذا ميزان للعلم فمن كان أكثر خشية لله فهو اكثر علماً ومن لا خشية له فلا علم له حتى لو حفظ جميع متون الكتب فالعالم هو الذي يخاف مقام ربه والمؤمن ـ الكامل الإيمان ـ هو الخائف من ربه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّه وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فحتى يتحقق الإيمان الكامل لا بد من توفر صفة الخوف منه سبحانه، يطرق القرآن هنا مثلاً أعلى لذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّه عَلَيْهِمَا﴾[3] فالمخافة هنا هي مخافة الله سبحانه من أن يعصوا أمره ويعصوا أمر رسوله وينتج عن هذا الخوف عدم الخوف من غيره فقد حكى القرآن قولهم بمواجهة الجبارين الذين خاف منهم أغلب الشعب الاسرائيلي﴿ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[4](وقد مدح الله قوماً من الصحابة بأنهم﴾ الَّذِينَ

(١) - . سورة فاطر / آية ٢٨.

(٢) - . سورة الأنفال / آية ٢.

(٣) - . سورة المائدة / آية ٢٣.

(٤) - . سورة المائدة / آية ٢٣.

اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ[1] وقد قال الرسول الأكرم ﷺ «ثلاث خصال من صفة أولياء الله، الثقة بالله في كل شيء والغنى به عن كل شيء والافتقار اليه في كل شيء»[2] فالإيمان درجات كثيرة تبدأ بدرجة يقول عنها القرآن ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ[3] وتتعقبها درجة أعلى هو الإذعان القلبي بمضمون الشهادتين إجمالاً والعمل بغالب الفروع وأعلى منها هو التسليم والانقياد القلبي لأكثر الاعتقادات الحقة ويتبعها العمل الصالح وإن أمكن أن يقع في الخطأ وهناك مرتبة أعلى من هاتين وهو ان يصل المؤمن لعبادة الله كأنه يراه فان كان العبد لا يرى الله فالله يرى العبد، ومن الدليل على تعدد مراتب الإيمان طلب الإيمان من المؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[4] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّه وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا

(١) - . سورة آل عمران / آية ١٧٢.

(٢) - . البحار ٢٠/١٠.

(٣) - . سورة يوسف / آية ١٠٦.

(٤) - . سورة النساء / آية ١٣٦.

تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]

وأعلى من الكل درجة إيمان «أولياء الله» فإنهم يعتقدون لا استقلال لشيء دون الله ولا تأثير لشيء الا بإذن الله مع الاحتفاظ على أن المسألة ذات مراتب متعددة وفيها درجات كثيرة فعن الإمام الباقر عليه السلام {وجدنا في كتاب علي بن الحسين عليه السلام: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ قال إذا أدوا فرائض الله وأخذوا بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله وتورعوا عن محارم الله وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا ورغبوا فيما عند الله واكتسبوا الطيب من رزق الله ولا يريدون هذا التفاخر والتكاثر ثم انفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة فأولئك الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدموا لآخرتهم}[3].

ومن المراتب الآخرى قول الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله: «انه لا

(١) - سورة الحديد / آية ٢٨.

(٢) - .سورة الصف / آية ١٠-١١.

(٣) - . تفسير العياشي ٢/١٣١.

يحـق للعبد حق صريـح الإيمان حتى يحـب للّه ويبغض للّه تعالى فإذا احب للّه وابغض للّه فقد اسـتحق الولاء من اللّه وان أوليائـي من عبادي واحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم»[1]، وهذه من آثار ولاية اللّه.

إن رؤيـة أوليائه تذكر اللّه سـبحانه فهم لا يحزنون من مكروه واقـع ولا يخافوا محـذوراً. فإيمانهم أعلى درجات الإيمـان هـذا أولاً وثانيـاً ان الآيـة عـبرت عـن ايمانهم انه بعـد مرحلة التقـوى ﴿الذين امنوا وكانـوا يتقون﴾ ومعلوم ان المرحلـة الأولى مـن الإيمـان تأتي قبل التقـوى لا بعدها فهولاء مسـتمرون علـى التقوى قبل تحقق هـذه المرتبة من الإيمان والتقوى وهو ان يكون الانسان في وقاية مما يخاف فيجعل بينه وبين ما يخاف منه وقاية وأولى من يُتقى هو اللّه سـبحانه وهو أمر معنوي يرجع الى القلب وليس هو جسـد العمل فهو مشـترك بـين الطاعة والمعصيـة كفعل الصلاة الظاهرية فإنها مشـتركة الحركات بـين المؤمن المخلص وبـين المرائي، فالكرامـة عند اللّه مربوطـة بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُم﴾ وكلما كان الانسان أتقى يكون أكرم والإنسـان بطبعه يميل الى ما يميزه عن غيره فيطلـب ذلك ولا يجده، أما في مزايا الحياة المادية فالتمييز يكون عن طريق المال والانتساب الى شعب أو عشيرة أو غير

(١) - . الدرر المنثورة ٢٤٨/٥.

ذلك وهي مزايا وهمية بل ليست مزايا أصلاً إنما هي مزالق الى الهلكة والشقاء ومورد لتزاحم اهل الدنيا وتدافعهم ولا تصل بصاحبها الى السعادة والكرامة بينما التقوى وهي الطريق الموصل الى السعادة حسب تعبير القرآن ولا يوجد في هذا الطريق أي تزاحم وتدافع وإن كثُر سالكوه وبالإمكان الحصول على التقوى من أحد طرق ثلاث اشار اليها القرآن الكريم. وهي نفسها الطرق الموصلة للعبادة والتي ينص عليها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1] فالحياة الدنيا بكل مراتبها ودرجاتها متاع الغرور وفي آية اخرى ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾[2] فلا ينبغي للعاقل ان يهتم بحياة هذه أوصافها ويترك اخرى من أهم أوصافها انها دار الخلود واقسام الخلود ثلاث تشير لها الآية الكريمة ﴿عذاب شديد﴾ وهذا الطريق ينفع من يغلب عليه الخوف مما اعد الله للظالمين والعاصين من شديد العذاب وصنف اخر من الناس يغلب على نفسه الرجاء بالدخول الى الجنة والتنعم بنعيمها ﴿مغفرة من الله﴾ وهناك خلود ثالث لطريق ثالث يسلكه الأوحدي من الناس وهو طريق ﴿رضوان﴾ وهؤلاء الذين لا يفكرون بجنة ولا نار قال الصادق عليه السلام ﴿إن العباد ثلاثة قوم عبدوا

(١) - سورة الحديد / آية ٢٠

(٢) - .سورة النور / آية ٣٩.

الله خوفاً فتلك عبادة العبيد ، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلباً للثواب فتلك عبادة الأجراء وقوم عبدوا الله عز وجل حباً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة﴾[1] فمعرفة الصنف الثالث بملكية الله لهم وتدبيره لأمورهم وليس لهم الا العبودية المحضة فهم يعبدون بلا انتظار جزاء ومع ذلك فأنهم مبشرون ﴿في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ وهذه البشارة هي من القضاء الالهي المحتوم الذي لا سبيل للتبدل اليه ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ اما ماهي تلك البشارة في الحياتين فمن الممكن معرفتها بآية اخرى دالة على هذا المعنى وهي قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[2] وقد تفسر هذه الآية بالبشارة عند الموت كما يستفاد من قوله ﴿كنتم توعدون﴾ غير أن إثبات شيء في وقت لا يعني نفيه في وقت آخر كما هو مقتضى اطلاق الآية الكريمة وقد بشروا ببشارات كثيرة منها ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[4] وقوله

(١) - . الكافي ج٢ / ص٨٢.

(٢) - . سورة فصلت / آية ٣٠. ٣١.

(٣) - .سورة الروم / آية ٤٧.

(٤) - . سورة غافر / آية ٥١.

تعالى: ﴿بُشْـرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[1] وقد فسر النبي ﷺ هذه البشارة لاعرابي سأله عن قول الله ﴿الذيـن امنوا وكانوا يتقون لهم البشـرى في الحياة الدنيا وفي الآخـرة﴾ فقال رسـول الله ﷺ اما قوله ﴿لَهُمُ البُشْـرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فهي الرؤيا الحسـنة تُرى للمؤمن فيبشـر بها في دنياه وأما قوله ﴿في الآخرة﴾ فإنها بشارة المؤمن عند المـوت أن الله قد غفر لك ولمن يحملـك الى قبرك}[2] وقوله تُرى بصيغة المجهول أعم من أن يراها هو نفسه أو غيره فقد قـال الإمام الباقـر عليه السلام في معنى البشـارة «في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسـه أو تُـرى له وفي الآخرة الجنة وهي ما يبشـرهم به الملائكة عند خروجهم من القبر وفي القيامـة الى ان يدخلوا الجنة يبشـرونهم حـالاً بعد حال»[3] وهنـاك بشـارة من نـوع آخر هو أن يبشـر الإنسـان المؤمن مـن قبل خاتم الأنبياء ﷺ وخـاتم الأوصياء عليهم السلام فعن الإمام الصادق عليه السلام (إن الرجل اذا وقعت نفسه في صدره رأى . قلت : جعلت فداك ما يرى؟ قال: يرى رسول الله ﷺ فيقول رسول الله انا رسول الله أبشر ثم قال: يرى علي بن ابي طالب عليه السلام فيقول أنا علي بن ابي طالب الذي كنت تحبهُ أما لأنفعنك اليوم قال قلت له أيكون أحد من الناس يرى هذا ثم يرجع

(١) - . سورة الحديد / آية ١٢.

(٢) - . البحار / ج٥٨ / ص١٩١.

(٣) - . البحار / ج ٦ / ص١٤٨.

الى الدنيا؟ قال: قال لا، إلاّ إذا رأى هذا ابداً مات واعظم ذلك، قال وذلك في القرآن قول الله عز وجل ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ﴾[1] وبشر الإمام الباقر عليه السلام «انما يغتبط أحدكم حين تبلغ نفسه ها هنا فينزل عليه ملك فيقول أما ما كنت ترجو فقد أعطيته وأما ما كنت تخافه فقد أمنت منه فيفتح له باب الى منزله من الجنة ويقال له انظر الى مسكنك من الجنة وانظر هذا رسول الله وفلان وفلان وفلان* هم رفقاؤك وهو قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة»[2] وظاهر هذا الحديث وأمثاله أن البشرى هي لشيعة أهل البيت عليهم السلام وليس لأهل البيت عليهم السلام وبالتالي فأتباعهم يكونون من أولياء الله وهذا يعني ان أولياء الله حقيقة ذات مراتب متعددة تبدأ بالمسلم المتابع لأهل البيت وتنتهي بهم عليهم السلام .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام عن الطبقة العليا من أولياء الله في كلام له مع كميل: «اللهم كلا لا تخلو الارض من قائم بحق أما ظاهر مشهور وأما غائب مضمور لئلا يبطل

---

(١) - . الكافي ج ٣ / ص١٣٣.

*. في تفسير العياشي بدلاً من (وفلان وفلان وفلان.) وعلي والحسن والحسين عليهم السلام

(٢) - . بحار الأنوار / ج٢٧ / ص١٦٤.

حجــج اللّه عز وجل وبيناته أولئك الأقلون عدداً والأعظمون خطــرا هجــم بهم العلــم على حقائــق الأمور وباشــروا روح اليقين فاســتلانوا ما استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منــه الجاهلون صحبوا الدنيــا بأبدان ارواحها معلقة بالمحل الأعلــى، يا كميل أولئك أوليــاء اللّه من خلقه والدعاة الى دينه بهم يحفظ اللّه حججه حتى يودعوها امثالهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هاه شوق الى رؤيتهم» [1].

لكــن مَن هؤلاء الشــيعة؟ هنا يجيــب الإمام الباقر عليه السلام «يا جابر ايكتفي من ينتحل التشــيع ان يقول بمحبتنا أهل البيت فواللّه ما شيعتنا الا من اتقى اللّه وأطاعه، وما كانوا يُعرفــون يا جابــر الا بالتواضع والتخشــع والأمانــة والإنابة وكثرة ذكر اللّه والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعهد للجــيران مــن الفقــراء وأهل المســكنة والغارمــين والأيتام وصــدق الحديث وتــلاوة القرآن وكف الالســن عن الناس الا من خير وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء»، قال جابر فقلت: يا ابن رسول اللّه ما نعرف اليوم أحداً بهذه الأوصاف فقال عليه السلام : «يا جابر لا تذهبنَّ بك المذاهب حسب الرجل ان يقــول أحب علــي وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالاً فلو قال أني أحب رســول اللّه فرســول اللّه صلى الله عليه وآله خير من علي عليه السلام ثم لا يتبع ســيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه شيئاً فاتقوا اللّه

(١) - . تاريخ اليعقوبي / ج٢ /ص ٢٠٧

واعملـوا لما عنـد اللّه، ليس بين اللّه وبين أحد قرابة، أحب العبـاد الى اللّه عز وجل أتقاهـم وأعملهم بطاعته، يا جابر فـواللّه ما يُتقـرب الى اللّه تبارك وتعـالى الا بالطاعة، وما مَعَنـا براءةً من النـار، وما لنا على اللّه من حجة، مَن كان للّه مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان للّه عاصياً فهو لنا عدوّ، وما تُنال ولايتنا إلا بالعمل والورع»[1].

يقول الإمام الصادق عليه السلام «طوبى لشـيعة قائمنا المنتظرين لظهـوره في غيبته والمطيعين له في ظهـوره أولئك أولياء اللّه الذيـن لا خـوف عليهم ولا هـم يحزنـون»[2] لكن يجب ان يكـون المنتظر لمولاه ان يوطن نفسـه على لقـاء ربه في أية لحظة «فـإن الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه اللّه لخاصة أوليائـه»[3] فـإن أبـواب الجنة كثـيرة «ثمانيـة» لكن باب الجهـاد ليـس مفتـوح لـكل أحد بـل لخاصـة أوليائه لأن الجهاد هو بذل أعز نفيس يمتلكه الإنسان «المال والنفس» لإعلاء كلمة اللّه، والإنسـان يحب كل شيء لأجل حياته ويجعـل هذه الحيـاة في معرض الخطر لأجـل إعلاء كلمة اللّه، وهـذه خصيصة يعرف فيهـا أولياء اللّه لأن من يعتقد انـه ولي اللّه من دون الناس وهو صـادق في دعواه فالنتيجة

(١) - أمالي الشيخ الطوسي ص ٧٣٥.

(٢) - . بحار الانوار / ج٥٢ / ص١٥٠.

(٣) - . شرح النهج لابن ابي الحديد المعتزلي / ج٢ / ص٧٥.

الطبيعيــة لذلك ان يتمنــى الموت لأن الولي يحــب لقاء وليه ومن أيقن انه ولي اللّه وجبت له الجنة ولا حاجب بينه وبينها الا المــوت ويتمنــى ان يرحل من هذا الدنيــا الزائلة الى لقاء ربــه والخلود في نعيمه ومن هذا رد القــرآن الكريم دعوى اليهود بأنهم أولياء اللّه بما يظهر كذبهم وافترائهم ولليهود دعاوى كثيرة في هذا المجال منها ما حكاه اللّه سبحانه في قولــه ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْــنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[1] وقــد رد القرآن على هذه الدعوى رداً منطقياً في قوله تعالى ﴿قُــلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَــرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَــاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَــا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[2] فتاريخ اليهود مليء بالعذاب الإلهي النازل عليهم بسبب اعمالهم كما أنهم لا يختلفون عن سائر البشــر بل عن سائر الموجودات فالكل مخلوق للّه، وادعاء آخر يســجله القرآن لليهود ويرده القرآن ايضاً هو ادعاؤهم أن الحيــاة الآخرة لهم خالصة من دون الناس﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُــمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنــدَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَــوْتَ إِن كُنتُــمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَــن يَتَمَنَّوْهُ أَبَــدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[3]

والتحــدي بتمــني الموت يبــين انهم كانــوا كاذبين بهذه

(١) - .سورة المائدة / آية ١٨.

(٢) - . سورة المائدة / آية ١٨.

(٣) - .سورة البقرة / آية ٩٤-٩٥.

الدعـوى فالإنســان بطبعه يميل الى جلب المنفعة الى نفســه وليس هناك منفعة اكبر وأعلى من الدار الآخرة والتي ليس بين أهلها وبين نيلها وهي السـعادة غير المشـوبة بشـيء من الشـقاء إلا أن تنقضي هذه الحياة والتي وإن اشـتملت على سعادة في جانب فلا بد من وجود منغص من جانب آخر ولم تخلص الدنيا لأحد قط أبداً ومن يعتقد ان كمال سـعادته في الرحيل عن الدنيا فمن المؤكد ان نفسه ستهفو الى هذا الرحيل أما عدم تمني الموت فذلك يكشف عن عدم وجود ذلـك المعتقد ونفس هذا التحدي اسـتخدم للرد على دعوى ثالثـة لليهود وهي دعواهم بانهم أولياء للّه فجاء الرد الألهي ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّـاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَـوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِـينَ﴾[1] فمن الطبيعي والمنطقـي ان اي أحـد يحب لقاء وليـه . فولي اللّه يحب ان يلقـى اللّه ولا يلقاه الا بالموت وهو يتمنى هذا الموت ليسـعد بلقـاء مـن وليه وأما الذي لا يتمنى المـوت فهو ليس ولي للّه سـبحانه وكراهته للموت دليل على ذلـك والقرآن يذكر هذه الحقيقة ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّه عَلِيمٌ بِالظَّالِمِـينَ﴾[2] وسـبب آخـر لكراهة الموت ورد على لسـان الصحابي الجليل ابي ذر الغفاري رض عندما سئل عن سبب كراهية الناس للموت قال: «لأنكم عمرتم الدنيا وأخربتم

(١) - .سورة الجمعة / آية ٦.

(٢) - .سورة الجمعة / آية ٧.

الآخرة فتكرهون ان تنقلوا من عمران الى خراب»، فقيل له فكيف ترى قدومنا على الله قال: «أما المحسن منكم فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يُرد على مولاه»، قال: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: «اعرضوا أعمالكم على الكتاب إن الله يقول ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيم﴾[1] »، فقيل له: فأين رحمة الله؟ قال: ﴿رَحْمَةُ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِين﴾[2].

وقيل للإمام الجواد عليه السلام: ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: «لأنهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عز وجل لأحبوه ولعلموا ان الآخرة خير لهم من الدنيا ثم قال عليه السلام للسائل ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء المنقي لبدنه والنافي للألم عنه؟ قال لجهلهم بنفع الدواء قال والذي بعث محمداً بالحق نبياً أن من استعد للموت حق الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج أما إنهم لو عرفوا ما يؤدي اليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبوه أشد ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة»[3]، اما أولياء الله فلا يخافون شيئاً مما عملته أيديهم لذلك روي: «ان في التوراة مكتوب أولياء

(١) - سورة الأنفطار / آية ١٣-١٤.

(٢) - .الكافي / ح٢ / ص٤٥٨

(٣) - . بحار الأنوار/ ج٦ / ص١٥٦.

الله يتمنون المـوت»[1] وهنا موعظة بليغة وهي ان عدم تمني المـوت أو كراهة الموت هل يكون سـبباً للنجاة؟ الجواب: كلا، يقـول الله في كتابـه العزيـز: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَـوْتَ الَّذِي تَفِـرُّونَ مِنْـهُ فَإِنَّـهُ مُلَاقِيكُمْ﴾[2] ويقـول امير المؤمنين عليه السلام «يـا أيها الناس كل امرئٍ ملاق في فراره ما منه فر والاجل مسـاق النفس اليه والهـرب منه موافاتـه»[3] فلا مهرب من الموت وان كان الامر كذلك فعلى العاقل ان يسـتعد للقاء الله سـبحانه بالاعتقاد الصحيح والعمل الصالح وينظر الى الدنيا نظـرة الراحل عنها فلا يهتـم بظاهرها وهذا وصف لأولياء الله على لسان أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «ان أوليـاء الله هم الذين نظروا الى باطن الدنيا اذا نظر الناس الى ظاهرهـا واشـتغلوا بآجلها اذا اشـتغل النـاس بعاجلها فأماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سـيتركهم، ورأوا استكثار غيرهم استقلالاً ودركهم لها فواتاً، أعداء لما سالم الناس وسلم لمن عادى الناس بهم علم الكتـاب وبه علموا وبهم قام كتاب الله وبه قاموا لا يرون مرجواً فوق ما يرجون ولا مخوفاً فوق ما يخافون»[4] فللدنيا ظاهـر خادع كذاب من نظر الى هذا الظاهر وشـغل قلبه

(١) - . تفسير القمي / ج٢.

(٢) - . سورة الجمعة / آية ٨.

(٣) - في ظلال نهج البلاغة /ج٢/ص٣٥٠

(٤) - . شرح النهج لابن ابي الحديد / ج ٢٠ / ص٧٨.

بهذا النظر انصرف عن آخرته وللدنيا واقع اتخذها الأولياء وسيلة الى السعادة الأبدية وأدى بهم هذا الى عدم التنافس في الدنيا والتوجه صوب الآخرة وأماتوا كل ما من شأنه أن يميت أرواحهم من النفاق والحقد والطمع وغير ذلك أكثر من خوف أهل الدنيا من موت أجسادهم يقول أمير المؤمنين عليه السلام «ويرون أهل الدنيا يعظمون موت اجسادهم وهم اشد اعظاماً لموت قلوب أحيائهم»[1] فأهل الدنيا يعظمون موت اجسادهم وأولياء الله يستعظمون موت القلوب وغفلتها عما يلزمها من اهتمام وعمل وان اصابتهم مصيبةً تلقوها بالاستجارة بالله سبحانه يقول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاءٍ له يصف أولياء الله: «وإن صبت عليهم المصائب لجأوا الى الاستجارة بكَ علماً ان أزمّة الأمور بيدك ومصادرها عن قضائك»[2]

(١) - في ظلال نهج البلاغة / ج٣ / ص٣٣٨.

(٢) - . مستدرك سفينة النجاة / ج٤ / ص٣٠٧.

أولياء الشيطان

يخبر القرآن ان البشرية عودتها تشبه بدأها ووجه الشبه ان البشرية في بدئها فرقتين وفي عودها فرقتين ايضاً ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۞ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾[1] وسبب هذا الاختلاف هو الاختلاف بالولاء فمن كان مؤمناً ﴿اللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] ونتيجة هذه الولاية ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾[3] وأما الذين حقت عليهم الضلالة فهو بسبب الولاية ايضاً لكن ولائهم للشيطان ولذلك علل القرآن ضلالتهم بـ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[4] وهناك قانون الهي بحق هؤلاء ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾[5] وسبب ضلال هؤلاء انهم اختاروا الشياطين أولياء لهم بالمعنى الذي ذكرناه وأبدلوا الدخول تحت ولاية الله سبحانه بهذه الولاية والأدهى من ذلك انهم يعدون انفسهم مهتدين، وهذا ما يعقد المسألة فالإنسان الضال اذا كان معترفاً بضلالته لعله يرجع يوماً

(١) - . سورة الأعراف / آية ٢٩-٣٠.

(٢) - . سورة آل عمران / آية ٦٨.

(٣) - سورة البقرة / آية ٢٥٧.

(٤) - .سورة الأعراف / آية ٣٠.

(٥) - . سورة الحج / آية ٤.

مـا عن تلك الضلالة وان تأخر ذلك اليوم ولكن المشـكلة مشـكلة الضال الذي لا يعترف بضلالته بل يتصور نفسـه مهتدياً وهذا لا أمل في رجوعه الى الحق.

إن الدخـول أو الوصـول الى مرحلـة «أوليـاء الشـيطان» تتقدمها مراحل لا بد ان يسـلكها الإنسـان حتى يصل الى تلـك المرحلـة وأول تلك المراحـل هي مرحلة اتبـاع خطوات الشيطان فالشيطان في الوهلة الأولى يرضى بالذنب الواحد البسـيط لأن ذلـك سـيجر الى ذنب أعظم وأكـبر والثاني يجر الى ثالث وهكذا يكون الإنحراف بشـكل تدريجي لا دفعـي وفوري ونفس كلمة «شـيطان» من مادة «شـطن» وشـاطن وهو البعيـد عن الطريـق وهو الخبيـث والوضيع وتطلـق على الموجـود المتمرد العاصي انسـاناً كان أو غير انسـان ويعني ايضاً الروح الشـريرة البعيـدة عن الحق وهو أسـم جنـس عام وإبليس اسـم علم خاص بالشـيطان الذي أغـوى آدم ، ويتربص هـو وجنوده وقبيلـه الدوائر لبني آدم وقـد أعلن عداوته اليهم بعد أن رفض السـجود لأبيهم عليه السلام فعداوتـه قديمـة وظاهرة وليس من العقل أن يتبع الانسـان عدوه ولذلك على العاقل ان لا يخطو الخطوة الأولى لأن تلك الخطوة تتبعها خطوات حتى يصل الإنسان الى شقائه أو اذا بدرت من الإنسـان الخطوة الأولى فعليه أن يعالجها بالتوبة والإنابة الى الله سـبحانه وتعالى ، وإلا فذنب يتبع ذنب حتى يصل الى مرحلة يتغلب فيها الشيطان على الإنسان ويسميه

القرآن الاستحواذ كما في قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1] لأن من يفوّت على نفسه النعيم المؤبد ويعرضها للعذاب المخلد فهو خاسر، بل كل خسارة دون ذلك ليست بخسارة وفي مقابل ذلك ما جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [2] فمقابل خسارة أولئك فلاح هؤلاء لأنهم حصلوا على النعيم الدائم وصرفوا عن انفسهم الخلود في العذاب وليس غير هذا الفلاح فلاحاً، فحقيقة الفلاح والخسران يكون بعد أن يعرض الأمر على الله سبحانه، أما قبل ذلك فليس هناك ربح وإن ربح الإنسان ما ربح وليس هناك خسارة وإن خسر الإنسان الكثير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ الاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبرِ﴾ [3] فالبشرية كلها خاسرة الا من جمع هذه الخصال الأربعة الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر وهذه الصفات وجدناها في أعلى درجاتها عند أولياء الله سبحانه وبالضد منها نجدها في أولياء الشيطان.

قد يصل الإنسان الى مرحلة يكون معلماً للشيطان بعد

(١) - سورة المجادلة / آية ١٩.

(٢) - .سورة المجادلة / آية ٢٢.

(٣) - سورة العصر.

أن كان يتعلم منه كما في قوله تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (١) ويمكن رصد أقسام كثيرة من أولياء الشيطان وأول تلك الأقسام هم الكفار إذ يقول الله سبحانه عنهم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢) والطاغوت مبالغة بالطغيان كأقسام المعبودات الباطلة كالأصنام والشياطين وأئمة الضلال ونتيجة هذه الولاية هي الإخراج من النور الى الظلمات والخلود في النار وهي عكس نتيجة ولاية الله تماماً فهناك الإخراج من الظلمات الى النور فليس ولاية الشيطان إلا ولاية فتنة وغرور عندما يتصرف بوليه الإنسان بذلك يحصر القرآن أولياء الشيطان بالذين لا يؤمنون كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(٣)، فلا يمكن ان يكون الشيطان ولياً لأحد الا ان يكون فاقداً لصفة الإيمان ﴿للذين لا يؤمنون﴾ وأما من يؤمن فيصرح القرآن تصريحاً واضحاً بيناً ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٤) ويقرر في محل آخر: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ

(١) - .سورة الأنعام / آية ١١٢.

(٢) - .سورة البقرة / آية ٢٥٧.

(٣) - .سورة الأعراف / آية ٢٧.

(٤) - . سورة النحل / آية ٩٩.

وَكِيلاً﴾ [1] والظاهر إن عدم الإيمان هنا ليس بمعنى الجحود أو الشرك بل يكفي عدم الإيمان بآيات الله بتكذيبها وان آمن بأصل وجود الله ووحدانيته وخاصة اذا لاحظنا الآيات التي بعدها ومنها قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [2] وهناك فريق آخر غير الكافرين ظاهره الإسلام بمعنى الالتزام الظاهري للإسلام مثل النطق بالشهادتين والمظاهر الإسلامية الا ان القرآن يخبرنا بانقسام هذا المجتمع الى مسلم واقعي ومسلم ظاهري ونعني بالواقعي من يطابق قلبه ما يجري على لسانه فهو مؤمن حقاً وأما المسلم الظاهري والذي لا يطابق قلبه لسانه فعدة أصناف منهم المنافقون ومرضى القلوب والمرجفون والاعراب والمرتدون على الأعقاب والقاسية قلوبهم والفارون من المعارك الى غيرهم من العناوين التي نص عليها القرآن الكريم وأكد كثيراً على الصنف الأول وهم المنافقون وحصر العداوة بهم كأن ليس للمسلمين عدوا غيرهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللّه أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [3] بل جعل أحد اسباب ودواعي الامر بإعداد القوة لرهبة العدو الخارجي هو وجود العدو داخل صفوف المسلمين وهو عدو غير منكشف الهوية أو قل مستتر

(١) - . سورة ا لأسراء / آية ٦٥.

(٢) - .سورة الأعراف / آية ٣٦.

(٣) - . سورة المنافقون / آية ٤.

العدواة يتعامل مع المسلمين معاملة المحب بل يتظاهر بالإسلام ويؤدي شعائر الإسلام لذلك فهم مجهولون ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّه يَعْلَمُهُمْ﴾ (١) وبعضهم وصل القمة في التستر الى حد ان النبي ﷺ لا يعلم بعداوته رغم كونه من أهل المدينة أو ممن حول المدينة ﴿مِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (٢) لكن مع هذه السرية التامة التي يتصرف بها المنافقون فإن القرآن قد فضح في كثير من آياته صفاتهم وأسرارهم وذكر أن من اتصف بها فهو منافق وهي كثيرة ومنها الإفساد في الأرض ونقض العهد وقطع ما أمر الله به أن يوصل الى غيرها من الصفات، وقد ورد في السنة النبوية الشريفة مثل ذلك ايضاً ومن أهم صفات المنافقين التي وردت على لسان الرسول الأكرم ﷺ هو مانقله مسلم في صحيحه عن علي عليه السلام قال: «والذي فلق الحبة وبرء النسمة انه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ أن لايحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق» (٣) وهذه الصفة ذكرها القرآن كصفة بارزة لمرضى القلوب ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللّه أَضْغَانَهُمْ﴾ (٤) مع العلم بأن

(١) - . سورة الأنفال / آية ٦٠

(٢) - . سورة التوبة / آية ١٠١.

(٣) - . صحيح مسلم / ج١ /ص ٦٢.

(٤) - . سورة محمد / آية ٢٩.

القـرآن يذكر علاقتهم مـع الكفار «اليهـود والنصارى» أنه ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهِ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (١) ومشاركتهم في كثير من الآراء والخطط للمنافقين ففي واقعة بدر ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢) وفي واقعة الأحزاب ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٣) فعلاقتهم بأعداء الخارج والداخل علاقة ولاء أما هذه الضغائن التي يهدد المولى بأنه سيظهرها فهي للدين وأهله وعلى رأس أهله الذين أوجب اللّه مودتهم وجعلها أجر للرسالة، ومن المعلوم أن الأجر يتناسب صغراً وكبراً مع ما أدى الأجير الى المستأجر فكيف يكون أجر من أخرج العباد من الظلمات الى النور وفي هذا إشارة إلى أن المطلوب محبتهم لهم شأن كبير عند اللّه حتى يجعل حبهم أجراً للرسالة ويكون طريقاً الى إرجاع الناس إليهم فيما كان لهم من المرجعية العلمية لذلك جعل الرسول الأكرم أهل بيته ميزاناً لمعرفة حزب الشيطان فقد قال ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من

(١) - .سورة المائدة / آية ٥٢.

(٢) - . سورة الأنفال / آية ٤٩.

(٣) - .سورة الأحزاب / آية ١٢.

الغـرق وأهل بيتي أمـان لأمتي من الاختلاف فـإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب أبليس»[1]

لذلك ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام «أحسـن الحسـنات حبنا وأسوأ السيئات بغضنا»[2] كما أن أكبر من الكره القتال وهـو نتيجة طبيعيـة للكره والعداوة ومن ذلك نظر رسـول الله صلى الله عليه وآله الى علـي وفاطمة والحسـن والحسـين قائـلاً: «انا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم»[3] وفي روايات اخرى ان الرسـول الاكـرم صلى الله عليه وآله يجمع الأربعة اصحاب الكسـاء تحت الكسـاء الخيبري ويقول قوله هذا مما يعني ان أهل البيـت عليهم السلام سـيدخلون حروباً ويمرون بسـلم وهم في كل احوالهم علـى الحق المحض لا يتجاوزونه بل اكثر من ذلك ان من يحاربهم كأنما يحارب الرسول ومن يسالمهم يسالم الرسـول أو هم عندما يحاربون فكأنما رسول الله يحارب وعندما يسـالمون فكانما رسـول الله يسالم ومن هذا نعلم حكم من يحارب اصحاب الكِسـاء فهو نفس من يحارب الرسول ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّه وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّه فَإِنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4] وهذه الحرب حتمية الوقوع ولا بد ان

(١) - . مستدرك الحاكم / ج٣ /ص١٤٩.

(٢) - . فرائد السمطين / ج٢ / ص٤٩٧.

(٣) - . مستدرك الحاكم / ج٣ / ص١٤٩.

(٤) - . سورة الحشر / آية ٤.

تقـع لذا نرى القرآن يأمر بها أولاً ويشـرع لتفصيلاتها ثانياً فيقـول ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾[1] فكل قبيل يقاتل في سبيل لكن المؤمنين قتالهم من أجل الله وفي سـبيله والكافرون يقاتلون في غير ذلك السبيل وهو سبيل الطاغوت وقد مر بنا ان للطاغوت معنى واسـع يشمل الشيطان ويترتب على هذا الأمـر الإلهي ﴿فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّـيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّـيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًـا﴾[2] وكيـد الشـيطان ضعيـف لأنـه سـبيل الطاغوت المقابل لسبيل الله والقوة لله جميعاً فلا يبقى الا وصف الضعف للشيطان وجنوده وسبله فحرض الله سبحانه المؤمنين لقتال الكافرين مع هذا الضعف في وليهم وسـبق ان اشـرنا ان مـن ابرز صفات أوليـاء الله حبهم للقاء المولى سـبحانه فتكـون نتيجة الحرب مـع الكافرين هو إحدى الحسـنيين، اقامة دعائم الدين والنصر على الأعداء ونشر العـدل الإسـلامي علـى وجـه الأرض أو الفوز بلقائـه ﴿وَلاَ تَحْسَـبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[3] .

(١) - . سورة النساء / آية ٧٦.

(٢) - .سورة النساء / آية ٧٦.

(٣) - . سورة آل عمران / آية ١٦٩-١٧٠.

حتمية الصراع

هذا الصراع الحتمي له صفة الشمول والعموم فهو ممتد بامتداد الزمان والمكان فلا يخلو زمانٌ ومكان من هذا الصراع فتاريخ الأنبياء وخلفائهم عبارة عن هذا الصراع وقد أشار القرآن لذلك بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[1]، ولم يكن خاتم الأنبياء ﷺ مستثنى من هذا القانون الإلهي العام بل كان أشدُّ بلاءً وامتحاناً من غيره من الأنبياء السابقين حتى قال ﷺ: «ما أوذيَ نبيٌّ مثلما أوذيت»[2]، فرغم كل الإيذاءات التي مرّت بالأنبياء إلاّ أن الرسول الأكرم ﷺ يخبرنا بأن الإيذاء الذي وقع عليه أكثر وأكبر من كل تلك الإيذاءات رغم أن بعض الأنبياء نشروا بالمناشير وقطّعت رؤوسهم وصلبوا وغير ذلك، وأحد وجوه تفسير هذا الحديث أن الإيذاء الذي وقع على أهل البيت عليهم السلام هو إيذاءٌ له ﷺ وقد صرح النبي بذلك: «من آذى علياً فقد آذاني»[3]، وقال ﷺ عن سيدة نساء العالمين عليها السلام:

(١) - سورة الأنعام: الآية ١١٢.

(٢) - مناقب آل أبي طالب: ١٤٧/٣.

(٣) - مجمع الزوائد: الهيثمي: ١٢٩/٩.

«فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني»[1]، وقد قال الله عن إيذائه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّه وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2]، وقمّة هذا الإيذاء هو ما حدث في كربلاء على آل الرسول ﷺ وهذه المعركة مصداق واضح من مصاديق الصراع الحتمي بين أولياء الله من جهة وأولياء الشيطان من جهة أخرى، وقد تجسدت في المعسكرين كل صفات الأولياء -مع اختلاف الجهة التي يتولاها- فمعسكر الحسين يتولى الله فتتجسد فيه كل صفات أولياء الله ومعسكر يزيد يتولى الشيطان فتتجسد فيه كل صفات أولياء الشيطان.

(١) - المجموع: محي الدين النووي: ١٨/ ١٨٠.

(٢) - سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

سيد الشهداء

عندما نسمع الإمام الحسين عليه السلام قائد معسكر أولياء الله يناجي ربه قائلاً: «إلهي تردُّدِي في الآثار يُوجبُ بعدَ المزار فاجمَعني عليكَ بخدمَةٍ تُوصِلُني إليكَ كَيفَ يُسْتَدَلُّ بمَا هوَ في وجودِهِ مفتقِرٌ إلَيكَ أيَكُونُ لغَيركَ من الظُهُور مَا لَيسَ لَك حَتَّى يَكُونُ هوَ المُظهرُ لَكْ؟ مَتَى غِبتَ حَتّى تَحتَاجَ إلى دَلِيل يَدُلُّ عَلَيك وَمَتى بَعُدْتَ حَتّى تَكونَ الآثَار هي التي تُوصِلُ إلَيكَ؟ عَميَت عَينٌ لا تَرَاكَ عَلَيهَا رَقِيباً وخَسِرَت صفْقَةَ عبدٍ لَم تَجعَل لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيبَاً»[1]، وفي مقطع آخر: «إلَهي كَيفَ أخِيبُ وأنتَ أمَلِي أمْ كَيفَ أُهَانُ وعَلَيكَ مُتَّكَلِي إلَهي كَيفَ أسْتَعِزُّ وَفي الذِلَّةِ أرْكَستَني أمْ كَيفَ لا أستَعِزُّ وإلَيكَ نِسبَتِني»، مما يدل على كمال إيمانه عليه السلام ولا نحتاج إلى دليل يدل على ذلك بعد أن مثّل الإسلام وهو صغير السن في لقاء القمة بين النصرانية والإسلام يوم المباهلة وقد كان في الأمة الإسلامية من هو كبير السن وجليل القدر لكنّه لم يخرج مع رسول الله ليمثّل الإسلام ويتحمل تبعات صدق الرسالة أو كذبها المفترض عند أعداء الإسلام وكان تبعة ذلك أن تُجعَل لعنةُ الله على الكاذبين.

وفي الطرف الآخر نجد أن القائد هناك يبيت ليلة كُلِّف

(١) - مفاتيح الجنان: دعاء عرفة/ ٣٩٣.

بقتال سـيد الشـهداء قلقاً مفكراً وسُمِعَ في آخر الليل وهو يقول:

أأترُكُ مُلكُ الرَّي والرَّي منيَتي

أمْ أرجِع مأثوماً بقتل حسيـنِ

وقـد نصحهُ بريـر في أرض المعركـة حين قال له: يا عمر بن سـعد أتتركُ أهل بيت النبوة يموتون عطشـاً وحُلْتَ بينهم وبين ماء الفرات أن يشـربوه وتزعم إنّكَ تعرف اللّه ورسوله ص؟ فأطرق ساعةً إلى الأرض ثم رفع رأسهُ فقال: إنّي واللّهِ أعلمـه يا بريـر علماً يقيناً إنّ كلّ من قاتلهم وغصبهم على حقوقهم في النار لا محالة ولكن ويحك يا بريـر أتُشِير عليَّ أن أتـرك ولاية الرَّي فتصيرُ لغيري؟ ما أجدُ نفسـي تجيبني إلى ذلك أبداً، ثم أنشأ يقول:

دعاني عبيـد اللّه إلى خطَّـةٍ

فيها خرجْـــــتُ لحينـــي

فواللّهِ ما أدري وإنّي لحائـرٌ

أفكـر بأمري على خطريـنِ

أأتْرُكُ مُلكُ الرَّي والرَّيُّ مُنيَتِي

أم أرجع مأثومَاً بقتل حسينِ

وفي قتلهِ النار التي ليسَ دونهَا

حجابٌ ومُلكَ الرَّي قُرَّةَ عينٍ[1]

ويصور ترددهُ وحيرتهُ وهشاشة إيمانهُ بأبياتٍ قال فيها:

يقولون إنّ اللّهَ خالق جنَّةٍ

ونارٍ وتعــذيبِ وغُــلَّ يديــنِ

فإنْ صدقُوا فيما يقولون إنَّني

أتُوبُ إلى الرحمنِ مِن سَنَتِين

وإنْ كَذَبُوا فُزنَا بدنيا عظيمة

وَمُلكٍ عَقِيمٍ دائم الحجَلَــينِ

(١) - مقتل الخوارزمي: ٣٥١/١.

فيكـون بموقفـه وبأبياتـهِ مصداقـاً لقوله تعـالى: ﴿وَلاَ تَشْـتَرُواْ بِآيَاتِـي ثَمَناً قَلِيـلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُـونِ﴾[1]، وكل ثمن مقابـل آيـاتِ اللّه يكـون قليـلاً وإنْ كَثُـرَ في أعـين أهل الدنيـا لان الذي يشـتري لابـد أن تكون بضاعته تسـتحق الثمـن المدفـوع والدنيا كلها لا تسـاوي أن يدفع الإنسـان دينـهُ مقابل ذلك، هذا إذا كانت الدنيا لهُ، أما إذا كانت الدنيا لغيرهِ فالحال أسوأ، يقول الرسول الأكرم ﷺ: «شَرُّ النـاس من باعَ آخرتهُ بدنياهْ، وشَـرٌّ من ذلـك مَن باعَ آخرتُهِ بِدُنيا غيره»[2]، والعجيب إنّ عمر بن سعد يروي عن أبيه عن رسـول اللّه ﷺ: «قتل المسلم كُفر وسـبابهُ فسوق ولا يحلُّ المسـلم أن يهجـر أخاهُ ثلاثـة أيام»[3]، وأعجـب من ذلك أن تروى أحاديث الرسـول الأكرم ﷺ عـن القتلة الذين أخبرَ بلعنهـم أمـير المؤمنين عليه السلام قبل الواقعة بأكثر من عشـرين سـنة، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبهِ: «سَلُونِي قبلَ أن تَفقُدُونِي فَوَاللّه لا تسألُونِي عن فِئةٍ تضلُّ مائة وتهدي مائـة إلاّ أنبأتكم بناعقها وسـائقها إلى يوم القيامة، فقام إليـهِ رجلٌ فقـال: أخبرني كم في رأسـي ولحيتي من طاقة شعر؟ فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: واللّه لقد حدّثني خَلِيلِي رسـول اللّه ﷺ بِمَا سـألتَ عنـهُ وإنّ على كل طاقةِ شـعرِ

(١) - سورة البقرة: الآية ٤١.

(٢) - مكارم الأخلاق: ٥٠٠.

(٣) - المصنف للصنعاني: ١٦٨/١١.

في رأسكَ مَلِكَاً يلعَنُك وعلى كل طاقة شعر في لحيتِكَ شيطاناً يستفزُّكَ وإنّ في بَيتِكَ لسَخلاً يقتل ابن رسول الله وآيةُ ذلك مصداقُ ما خبّرتُكَ به ولولا أن الذي سألت عنهُ يعسرُ برهانه لأخبرتكَ به ولكن آيةُ ذلك ما نبأتُ به عن لعنتكَ وسخلِكَ الملعون»[1]، وكان من بين المعروفين بأنّه من القتلة عمر بن سعد فقد روى عبد الله بن شريك العامري: «كُنتُ أسمع أصحاب علي عليه السلام إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون هذا قاتل الحسين عليه السلام وذلك قبل قتلهِ بزمان وروى سالم بن أبي حفص قال: قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله إنّ قبلنا ناساً سفهاء يزعمون إنّي أقتلك، فقال له الحسين عليه السلام: إنّهم ليسوا بسفهاء ولكنهم حلماء أما إنّه يقرُ عيني أن لا تأكل بُرَّ العراق بعدِي إلا قليلا»[2]، وفي مقابل هذا الإنذار العلوي لجبهة أولياء الشيطان هناك بشارة علوية لجبهة أولياء الله فقد مرّ عليه السلام بكربلاء فصلّى بالنّاس العصر فلما انصرف رفع تراباً إلى أنفهِ فشمّه ثم قال: «ويحَكِ من تربَةٍ ليُقْتَلَنَّ عليكِ أقوامٌ يدخلونَ الجنّة بغير حساب»[3]، وعنهُ عليه السلام إنهُ مرّ بكربلاء فبكَى فقال: «هذا مَنَاخُ رِكَابِهِم» إلى أن قال حتّى طاف بِمَكانٍ يقال لهُ المقتدفان فقال: «قتل فيها مئتا نبي ومئتا

(١) - إرشاد المفيد: ١/٣٣٠.

(٢) - إرشاد المفيد: ٢/١٣٢.

(٣) - الملاحم والفتن: ابن طاووس: ٣٣٥.

سبط كلهُم شهداء ومَنَاخُ ركابِهم ومصارع عشاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم»[1]، وهذه البشارة قد وردت على لسان سيد الشهداء عليه السلام مرّتين، مرّة في ليلة العاشر من المحرم بعد أن خيّر أصحابه بالانصراف وأصروا على البقاء معه والاستشهاد بين يديه أخبرهم قائلاً: «إنّكُم تقتلونَ غداً كُلُّكُم ولا يفلِت منكُم رجل قالوا الحمد لله الذي شَرَّفَنا بالقتل معك ثم دعا لهم فقال: ارفعوا رؤوسكم وانظروا فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم في الجنة وهو يقول لهم هذا منزلك يا فلان وهذا قصرك يا فلان وهذه درجتك يا فلان فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلى منزله في الجنة»[2]، ومرّة أخرى في يوم العاشر بعد الحملة الأولى وبعد الصلاة قال لبقية أصحابه: «يا كرام هذه الجنة فتحت أبوابها واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يتوقعون قدومكم ويتباشرون بكم فحاموا عن دين الله ودين نبيه وذبّوا عن حرم الرسول»[3]، ولهذا نراهم كلهم يتهافتون على الموت بل يرون الموت أحلى من الشهد كما قال القاسم بن الحسن، والموت مع الحسين أحبُّ إليهم من الخلد مع أعداء الحسين كما قال برير،

(١) - مستدرك سفينة النجاة: ٢٤٥/٧.

(٢) - بحار الأنوار: ٢٩٧/٤٤.

(٣) - ينابيع المودة: باب٦١.

بل يتمنى أحدهم لو يذوق الموت ألف مرة كما كان يتمنى سعد بن عبد الله الحنفي، وقال هلال بن نافع الجملي

إن أقتل اليوم فهذا أملي فذاك رأيي وأُلاقي عملي

وقد خاطب الحسين عليه السلام قائلاً: «يا ابن رسول الله أنتَ تعلم أن جدك رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقدر الناس على أن يُشْرِب محبتهُ ولا أن يرجعوا إلى أمرهِ ما أحب، وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر، ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل ويخلفُونَه بأمرّ من الحنظل، حتّى قبضَهُ الله إليهِ، وإنّ أباكَ علياً رَحمةُ الله عليهِ قد كان في مثل ذلك، فقومٌ أجمعوا على نصرهِ وقاتلوا معهُ الناكثين والقاسطين والمارقين، حتّى أتاهُ أجلهُ ومضى إلى رحمة الله ورضوانهِ وأنتَ اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمن نكث عهدهُ، وخلعَ بيعتهُ، فلن يضرّ إلا نفسه، والله مغنٍ عنهُ، فسر بنا راشداً معافى مشرقاً إن شئت، وإن شئت مغرباً، فوالله ما أشفقنا من قدر الله ولا كرهنا لقاء ربنا وإنّا على نيّاتِنَا وبصائرنا نواليَ من والاك، ونعادي من عاداك».

وقبلهم إمامهم قد جمعهم وقال لهم: «قد نزل ما ترون من الأمر وأن الدنيا قد تنكّرت وتغيّرت وأدبرَ معروفها واستمرت حتّى لم يبقَ منها إلا كصبابة الإناء وإلاّ خسيسَ عيشٍ كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا

يُتَناهَى عنهُ ليرغب المؤمن في لقاء الله وإنّي لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما»[1]، وفي خطبته في مكة المكرمة عندما يعلن نتائج ثورته المباركة وهي شهادتهُ يصف الموت بصورة فنية جميلة قائلاً: «خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخيّر لي مصرَعٌ أنا لاقيه كأنّي بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن منّي أكراشاً جُوّفا وأجربة سغبى لا محيص عن يوم خطّ بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفّينا أجور الصابرين لن يشذَّ عن رسول الله ﷺ لُحمتَهُ وهي مجموعة له في حضيرة القدس تقرّ بهم عينُهُ ويتنجّز لهم وعدهُ من كان فينا باذلاً مهجتَهُ وموطّناً على لقائنا نفسه فليرحل فإني راحلٌ مصبحاً إن شاء الله»[2]، وكان ابن المصطفى ﷺ يرتجز في المعركة ويقول: «الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار»[3]

(١) - مناقب آل أبي طالب: ٣/٣٦٥.

(٢) - اللّهوف على قتلى الطفوف: ابن طاووس: ٥.

(٣) - مقتل أبي مخنف.

حامل اللواء

دأب وسنن في الحروب أن صاحب راية الجيش يكون مقاتلاً مغواراً مستبسلاً. وحتى نختصر استشهادنا لمصداق هذا الوصف لصاحب الراية نقف عند رسول الله ﷺ حيث كان يعطي الراية لعلي عليه السلام عندما يكون معه في المعركة فحينما كان رسول الله ﷺ محاصراً خيبر وأراد الله الفتح بعث الى علي وهو أرمد في المدينة وقال لأعطينَ الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار. فقول النبي في وصف علي عليه السلام «كرار غير فرار» غير موجود في جميع الناس لكنه يقيناً موجود في آله ومن آله حامل راية أولياء الله في طف كربلاء.

ان هذا البطل العظيم عندما كان يزوره إمامنا الصادق عليه السلام بالرغم من انه كان خريج مدرسة أمير المؤمنين والحسنين عليهما السلام الا ان الإمام الصادق عليه السلام يبرز مسألة ولاء ابي الفضل للإمام المعصوم «سَلامُ اللّه وَسَلامُ مَلائِكَتِهِ المُقَرَّبينَ وَأَنْبيائِهِ المُرْسَلينَ وَعِبادِهِ الصَّالِحينَ وَجَميع الشُّهَداء وَالصِّدِّيقِين وَالزَّاكِياتُ الطَّيِّباتُ فِيما تَغْتَدِي وَتَرُوحُ عَلَيْكَ يابْنَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ أَشْهَدُ لَكَ بالتَّسْليم وَالتَّصْديق وَالوَفاءِ وَالنَّصِيحَةِ لِخَلَفِ النَّبِيِّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ المُرْسَلِ وَالسِّبْطِ

المُنْتَجَبِ وَالدَّلِيلِ العالم وَالوَصِيِّ المُبَلِّغ وَالمَظْلُوم المُهْتَضَم»[1] ومسألة الولاء هذه كَانت السبب في زواج أمير المؤمنين عليه السلام من أمه أم البنين والتي كانت المثال الكامل للولاء فقد روى لنا التأريخ ان هذه السيدة الجليلة كانت تؤدب أولادها على طاعة أولاد الزهراء عليها السلام وتوصيهم بمناداتهم بـ «ياسيدي أو يا مولاي أو ياابن بنت رسول الله» كما كانت تفعلها هي في حياتهم وبعد استشهادهم وفي اثناء المعركة ومن رجز العباس عليه السلام في معركة الطف نعرف مدى ولائه وعظيم إيمانه..

والله أن قطعتم يميني
أني احامي ابداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين
نجل النبيً الطاهر الأمين

اذاً كان العباس عليه السلام يحامي عن دينه وعن إمامه وليس القضية قضية اخ يدافع عن أخيه بل قضية مأموم يدافع عن إمامه دفاعاً شهد له الإمام السجاد عليه السلام قائلاً: «رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن ابي طالب عليه السلام . وأن للعباس عند الله منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم

(١) - . مفاتيح الجنان / ص ٥٠٨.

القيامة»[1] وشهد له الإمام الصادق عليه السلام «كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الإيمان جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وأبلى بلاء حسناً ومضى شهيداً»[2] ويشهد له في زيارته «أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بالَغْتَ في النَّصِيحَةِ وَأَعْطَيْتَ غايَةَ المَجْهُود» «أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تَنْكُلْ وَأَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ مُقْتَدِياً بِالصَّالِحِينَ وَمُتَّبِعاً لِلْنَبِيِّينَ»[3] والملاحظ ان هذه الصفات متوفرة باصحاب الحسين عليه السلام وبشهادة اعدائهم فقد قال عنهم عمرو بن الحجاج وهو من قادة جبهة أولياء الشيطان وقد صاح بالجيش «ويلكم يا حمقى مهلاً أتدرون من تقاتلون؟، أنما تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين»[4] فأنصار الإمام أي إمام لا بد أن تتوفر فيهم ثلاث صفات ..

أولاً: الفروسية وثانياً: وعي الإسلام على الوجه الصحيح، ثالثاً: الاستعداد العالي للتضحية في سبيل الاسلام و حب لقاء الله وعدم كراهية الموت كما أسلفنا في صفات أولياء الله .

(١) - . أمالي الصدوق / مجلس ٧١.

(٢) - . كامل الزيارات / باب ٨٥.

(٣) - . مفاتيح الجنان / ٥٠٨.

(٤) - . الطبري / ج ٥ / ص٤٣٥.

❖. يروى ان هناك نسب بين الشمر بن ذي الجوشن وأم البنين عليها السلام فهم من عشيرة واحدة.

وفي الجانب الآخر «أولياء الشيطان» تكون هذه الصفات مسلوبة عنهم فنرى أن الشمر بن ذي الجوشن يتوسط عند ابن زياد لتحصيل كتاب أمان لأبناء أخته❖ «العباس وأخوته» وفعلاً يأتي بهذا الكتاب ولكن كان رد العباس وأخوته «لا حاجة لنا في أمانكم أمان اللّه خير من امان ابن سمية»[1] وهكذا يظهر اختلاف المنطقين بين الجبهتين، إحدهما ترى ان القتال في سبيل حماية الدين وحماية الإمام الصادق اليقين والأخرى ترى علاقة الاخوال بأبناء اخواتهم مقدمة على علاقة المسلم بإمامه وهو غير صحيح حتى وفق المنطق الجاهلي لأن من المروءة أن لا يترك أخاه في الميدان وحده ويبحث عن امان لنفسه والمنطق القرآني يجعل كل الولاءات التي تحيط بالإنسان بكفة وولائه للّه ولرسوله بكفة أخرى ويرجح هذه الكفة على تلك

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[2]

(١) - . لواعج الأشجان / ج١ ص١١٤.

(٢) - . سورة التوبة / آية ٢٤.

وشمر بن ذي الجوشن لا يفهم هذا المنطق فعندما خطب زهير بن القين رماه بسهم وقال له أسكت اسكت الله نأمتك أبرمتنا بكثرة كلامك فقال له زهير «يا ابن البوال على عقبيه ماإياك اخاطب إنما أنت بهيمة، والله ما اظنك تحكم من كتاب الله آيتين فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم» فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة قال«زهير» أبالموت تخوفني، فوالله للموت معه أحبّ إلي من الخلد معكم»[1].

ومن هذا النص عرفنا من هو والد شمر ففي نص آخر عن سيد الشهداء عليه السلام يذكر من هي والدة شمر بن ذي الجوشن فقد اشار الإمام اليها بقوله حينما خاطبه ياابن راعية المعزى إشارة الى حادثة جرت لأمه وكيف ولدته «فإنها خرجت يوماً من جبانة السبيع الى جبانة كندة فعطشت في الطريق ولاقت راعياً يرعى الغنم فطلبت منه الماء فأبى ان يعطيها الا بالاصابة منها فمكنته فواقعها ذلك الراعي»[2] ومن هذين الوالدين الذين لا يشرفان أحداً خرج قاتل الحسين، ومن عجيب ما يروى عنه ان ابا اسحاق السبيعي سمعه يقول بعد الصلاة «اللهم انك تعلم اني شريف فاغفر لي!» فقال له: «كيف يغفر الله لكَ وقد أعنت على قتل ابن رسول الله

(١) - . مقتل ابي مخنف / ص٨٩.

(٢) - . المثالب / هشام بن محمد الكندي .

فقـال ويحك أن امرائنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخالفهم ولو خالفناهم كنا أشر من هذه الحمر»[1] وقد كان يقول عند قتل الحسين عليه السلام ....

اقتلك اليوم ونفسي تعلم

علماً يقيناً ليس فيه مزعم

ولا مجال ولا ولا تكتم

ان اباك خير من تكلم [2]

والعجيب ان الشمر كان يوم صفين في جيش امير المؤمنين عليه السلام وهذه المسـألة يشـترك معه غيره فيهـا ، فالبعض ممن كانوا يحسـبون على جبهـة أمير المؤمنين لكـن عاقبتهم كانت سـيئة وقد ذكر سـبب ذلك سيد الشـهداء حينما خاطب جيش بن زيادقائلاً:

«لقد اسـتحوذ عليكم الشـيطان فأنسـاكم ذكر الله العظيم»[3] وقد مر بنا ان الاستحواذ هو غلبة الشيطان على الإنسان وهو من صفات حزب الشيطان والقرآن يحدثنا عن المصير الأسود الذي ينتظر هذا الحزب وكيفية تبرء رئيسهم

(١) - . اللهوف على قتلى الطفوف ص١٤٣.

(٢) - . العوالم / ص٣٠٠.

(٣) - . العوالم ٢٦٧.

منهم وتحميلهم مسؤولية مصيرهم ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّه وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

(١) - .سورة أبراهيم / آية ٢٢.

أول شهيد من آلِ محمد

ما أكثر اعتراضات قريش على نبوة خاتم الانبياء ﷺ ومن تلك الاعتراضات ما سجله القرآن ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[1] وهم في اعتراضهم هذا يتنازلون عن عدم قبولهم ظاهرة النبوة ويقبلوها لكن اعتراضهم هو على الشخص الذي يمثل ظاهرة النبوة فإن كان ولا بد ان يختار الله نبياً من الناس فليختار أحد العظيمين من إحدى القريتين.

العظيم الأول الوليد ين المغيرة المخزومي من أهل مكة والعظيم الآخر هو عروة بن مسعود الثقفي أما قيمة هذين الرجلين، فالأول قال الله تعالى فيه ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۞ وَبَنِينَ شُهُودًا ۞ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۞ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۞ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۞ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۞ أَنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۞ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ نَظَرَ ۞ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۞ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[2] وحسبنا القرآن بما ذكره عن هذا الشخص وما آل اليه أمره.

(١) - . سورة الزخرف / آية ٣١.

(٢) - . سورة المدثر / ١١ ـ ٢٦.

وأما الآخر فقد وفق للإسلام سنة ٩ هـ ورجع الى قومه يدعوهم الى الإسلام فرموه بالنبل فوقع شهيداً وعندما أخبروا النبي بما جرى عليه قال عنه: «ليس مثله في قومه الا كمثل صاحب يس في قومه»[١] وخلفه على سيادة قومه ابنه ابو مرة وكان مسلماً ايضاً وقد تزوج ميمونة بنت ابي سفيان بن حرب وأولدت له ليلى التي كانت من زوجات الحسين عليه السلام وأخت ميمونة هذه واسمها حمنة بنت ابي سفيان تزوجها مالك بن وهيب وأولدها سعد«المعروف سعد بن ابي وقاص» والد عمر بن سعد قائد جبهة أولياء الشيطان يوم الطف وبذلك تكون جدة علي الأكبر لأمه أخت جدة عمر بن سعد وهما «الجدتان» عمات أمير الجبهة الملعونة يزيد بن معاوية ويكون هو بن خالهم لذلك نسمع الحسين عليه السلام يذكّر ابن سعد بذلك بعد ان برز علي الأكبر للقتال «قطع الله رحمك ولا بارك الله في امرك وسلط عليك من يذبحك بعدي على فراشك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله»[٢] لقد استغلت هذه الصلة من قبل معاوية فقد قال يوماً لجلسائه: مَنْ احق الناس بهذا الأمر؟ فقالوا انت قال: «لا ، أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين بن علي جده رسول الله وفيه شجاعة بني هاشم وسخاء

(١) - . الأصابة لأبن جحر / ج٢.

(٢) - . فاجعة الطف / للقزويني ص ٢١.

بـني امية وزهو ثقيف» [1] ومعاوية في هذا المجلس ـ وهو من دهاة العرب ـ يريد ان يسَخّف مسألة الخلافة بجعلها مسألة انساب وليس مسـألة تقوى فيكون مستحقاً لها بلحاظ انه من اسـياد قريش وقريش سيدة العرب ولا تحتاج الى اكثر من هذا ، وفيه ايضاً تهميش للاستحقاق الديني والسياسي للإمام الحسين عليه السلام للخلافة ، أما الاستحقاق الديني فنص رسـول الله صلى الله عليه وآله بإمامتـه وأمـا الاسـتحقاق السياسـي فهو معاهـدة الصلح بين معاوية والإمام الحسـن والتي تنص في أحد بنودها على ان الخلافة للحسـن فإن حدث فيه حادث فللحسـين، ونقطة ثالثة هي محاولة إدارج قومه «بني أمية» مـع كبار القبائل والتي كانت معروفة بالزهو والشـجاعة ليلصـق بهم صفة السـخاءكما ان هناك تقييـم آخر لعلي الأكبر عليه السلام على لسـان سيد الشهداء عليه السلام حينما برز علي الأكبر للقتال قال: «اللهم اشهد على هؤلاء القوم برز اليهم غلام أشـبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقا برسـولك وكنا إذا اشتقنا الى نبيك نظرنا الى وجهه» [2] بمعنى ان علياً الأكبر عليه السلام شـبيه جده رسـول الله بالخُلق فإن خلق الرسول كما نص القرآن ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم﴾ [3] فعلي الأكبر خلقه عظيم وأما منطق رسـول الله صلى الله عليه وآله فنَجـد القرآن يقول ﴿وَمَا

(١) - . العوالم ص ٣٠٦.

(٢) - . العوالم ٣٠٣.

(٣) - سورة القلم / آية ٤.

يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[1] وبملاحظة الفرق بين المدحين فهو عندما يمدح أحد أولياء الشيطان فغاية المدح عنده أعمامه وأخواله بينما يمدح عند سيد من أولياء الله فالتركيز بالوصف على متباعة الرسول ﷺ وأقتفاء أثره والقرآن يقول ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّه﴾[2] فلا يكفي ان يكون العبد محب لله حتى يحصل على درجة «يحبه الله» ولا يصل الت هذه الدرجة الا بشرط «أتباع الرسول» وهذا الشرط ليس سهل التحصيل بل يدخل في كل خطوة يتخذها الإنسان في حياته وفي كل موقف وفعل وترك وهذا الأتباع يولد أولوية بين التابع والمتبوع ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾[3] بل يكون بين التابع والمتبوع وأن بعدت لحمتهُ فكيف إذا كان التابع ابن رسول الله فلذلك يقول ....

(١) - . سورة النجم / آية ٣.

(٢) - . سورة آل عمران / آية ٣١.

(٣) - . سورة آل عمران / آية ٦٨.

أنا علي بن الحسين بن علي

نحن وبيت الله أولى بالنبي

والله لا يحكم فينا ابن الدعي

أطعنكم بالرمح حتى ينثني

أضربكم بالسيف أحمي عن أبي

ضرب غلام هاشمي علوي [1]

وهو الذي قال لأبيه عندما استرجع وهو في طريقه الى الكوفة مما استرجعت؟ فقال عليه السلام: أني خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس على فرس فقال القوم يسيرون والمنايا تسير اليهم، قال له: أولسنا على الحق؟ قال: بلى، قال فإننا إذاً لا نبالي أن نموت محقين[2].

(١) - . تاريخ الطبري / ج٥ .

(٢) - . أعينان الشيعة / ج٨ ص ٢٠٦.

إعلام المعركة

لو تصورنا طفاً بلا سبايا لكانت النتيجة أن مائة رجل أو أكثر قتلوا وسط الصحراء ولا تعرف الأمة من خبرهم شيء بل سيعمل الإعلام المضلل إلى تصوير الثوار المجاهدين إلى خوارج خرجوا على إمام زمانهم فاستحقوا القتل، وقد فعل البلاط ذلك بحيث أن مدن الشام كانت تعلق الستور ويتبادلون التهاني والتبريكات وكانت مظاهر الفرح والسرور بادية على الجميع عند وصول ركب السبايا الذي قلب الرأي العام حتى اضطر الأمير أن يتبرأ من عماله ويلقي بالتبعة عليهم ويتنصل هو من الجريمة الكبرى، وما حدث بالشام حدث في كل المدن التي مر بها موكب السبايا الذي كان هذا الموكب خير وسيلة إعلام للنهضة الحسينية لنشر مبادئها وأفكارها ومظلوميتها في طول البلاد وعرضها، وقد نجح الموكب أيما نجاح في أداء هذه المهمة رغم كل الآلام والمصاعب والمتاعب التي عانى منها أفراد الموكب، وكان على رأسهم الإمام زين العابدين عليه السلام والتي شاءت الحكمة الإلهية أن يكون مريضاً في يوم الواقعة حتى لا يكون مسؤولاً عن الدخول في المعركة وبكلمة أخرى يسقط عنهُ التكليف بالقتال ومع ذلك نجده وفي ساعةٍ حرجةٍ حيث لم يبق ناصر مع الحسين عليه السلام وهو ينادي ألا من ناصرٍ خرج السجاد عليه السلام ﴿وكان مريضاً لا يقدر أن يقل سيفه وأم كلثوم تنادي خلفه: يا بُني ارجع،

فقال: يا عمتاه ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله ص، فقال الحسين عليه السلام: يا أم كلثوم خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد صلى الله عليه وآله»[1].

فعدم مشاركته في القتال لا تدل على أنهُ ليس أهلاً للقتال كما يصور عند البعض بأنهُ أسير عليل ذليل إلى غير ذلك من الأوصاف التي لا تليق بالإمام عليه السلام «لِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ»، فكيف وهو سيد المؤمنين وإمامهم وقد روى حفيده الإمام الصادق عليه السلام: (لقى عباد البصري علي بن الحسين عليه السلام في طريق مكة فقال له: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحج ولينه إن الله يقول: ﴿إِنَّ اللّه اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾؟ فقال عليه السلام له: أكمل، فقال: قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فقال الإمام زين العابدين عليه السلام: أما إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج[2].

(١) - العوالم: ٣٠٧.

(٢) - الكافي: ٢٢/٥.

بكل صلابة وإباء خاطب ابن زياد وهو في عنفوان نشوته بالنصر، بعد أن رد عليه ادعائه أن اللّه قتل علياً فردّ عليه كان لي أخٌ يسمى علي بن الحسين قتله الناس، فأمر ابن زياد بضرب عنقه فتعلّقت به العقيلة زينب وهدد صوت السجاد عليه السلام قائلاً: «أبالقتل تهددني يا ابن زياد أما علمت؟ أن القتل لنا عادة وكرامتنا من اللّه الشهادة»[1]، وهو نفسه الذي أومأ لأهل الكوفةِ بالسكوت حين أراد أن يخطب بهم فسكتوا فحمد اللّه واثنى عليه وذكر النبي بما هو أهله وصلى عليه ثم قال: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير دخلٍ ولا ترات، أنا ابن من انتهكت حريمه وسلب نعيمه وانتهب ماله وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبرا وكفى بذلك فخرا، أيها الناس ناشدتكم اللّه هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه، فتبّاً لما قدمتم لأنفسكم وسوءاً لرأيكم بأيّة عينٍ تنظرون إلى رسول اللّه إذ يقول لكم: قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمّتي»[2]، وترى في هذه الخطبة أن التوبيخ والتقريع واضح لأنه كان يخاطب أهل الكوفة والذين راسلوا الحسين عليه السلام وخذلوه

(١) - اللهوف على قتلى الطفوف: ١٨٧

(٢) - اللهوف على قتلى الطفوف: ١٨٧

ولا تـرى هـذا التقريـع في خطبته في الشـام لأن المخاطبين في الشـام كانوا واقعين تحت تأثير الإعلام الأموي المضلل فلقد روى ديلم بن عمر قال: كنت بالشام حين أوتي بسبايا آل محمد ﷺ فأُقيموا على باب المسـجد حيث تقام السبايا وفيهم علي بن الحسـين فأتاه شـيخٌ من أشـياخ أهل الشـام فقال: الحمد لله الذي قتلكم، وأهلككم، وقطع قرون الفتنة، فلم يأل عن سبهم وشتمهم، فلما انقضى كلامه، قال له علي بن الحسين عليه السلام: إنّي قد أنصت لك حتى فرغت من منطقك، وأظهرت ما في نفسـك من العداوة والبغضاء، فأنصـت لـي كما أنصت لك، فقال لـه: هات، فقال علي عليه السلام: أمـا قرأت كتاب الله عز وجل، قال: نعم، فقال عليه السلام لـه: أمـا قرأت هذه الآية: ﴿قُل لَّا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَـوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ قال: بلى، فقال عليه السلام: نحن أولئك، فهل تجد لنا في سـورة بني إسـرائيل حقاً خاصة دون المسلمين؟ فقـال: لا، فقال عليه السلام: أما قرأت هذه الآية: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾؟ قال: نعم، قال علي عليه السلام: فنحن أولئك الذين أمر الله نبيه أن يؤتيهم حقهم، فقال الشامي: إنكم لأنتم هم؟ فقال علـي عليه السلام: نعم. فهل قرأت هـذه الآية: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَـيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾؟ فقال له الشـامي: بلى، فقـال له علي عليه السلام: فنحـن ذو القربى، فهل تجد لنا في سورة الأحزاب حقّاً خاصة دون المسلمين؟ فقال: لا، قال علي بن الحسـين عليه السلام: أما قـرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟ فرفع الشامي يده إلى السماء ثم قال: «أللهم إنّي أتوب إليك» ثلاث مرات، أللهم إني أتوب إليك من عداوة آل محمد، وأبرأ إليك ممن قتل أهل بيت محمد، ولقد قرأتُ القرآن منذ دهر فما شعرت بها قبل اليوم[1].

وكان على الإمام عليه السلام أن يكشف لهم الحقائق المغطاة من ذلك الإعلام فتراه يقول: «أيها الناس أعطينا ستاً وفُضّلنا بسبع أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفُضّلنا بأن منّا النبي المختار محمد، ومنّا الصديق ومنّا الطيار ومنّا أسد الله ورسوله ومنّا سبطا هذه الأمة ومنّا مهديُّ هذه الأمة»[2]، ثم يبدأ بذكر أجداده وآباءه وحتّى أمهاته ويذكر صفاتهم ومناقبهم وكمالاتهم مما تسبب في الرأي العام ضد الأمير ولأجل هذا يضطر إلى إرجاع السبايا إلى مدينة جدهم وهناك يبدأ الإمام عليه السلام رحلة طويلة تستغرق كل عمره الباقي يثبت خلال ٣٥ عاماً مبادئ النهضة الحسينية والتضحيات والمأساة بأذهان الأمة، فلا يدع فرصة إلا واستغلها بذلك، فعندما يمر بقصاب ينادي غلامه قائلاً: يا غلام هل سقيت الشاة ماءً؟ فيسأله الإمام عليه السلام: أنتم معاشر القصابين لا

(١) - الإحتجاج: ٣٢/١-٣٣

(٢) - نهضة الحسين: للسيد هبة الدين الشهرستاني

تذبحوا الشـاة حتى تسقوها ماءً؟ قال القصاب: نعم، فوجّه الإمام وجهه إلى جهة كربلاء وصاح ودموعه تجري: أبه يا أبه إن الكبش لا يذبح حتى يسقى ماءً وأنت ذبحت بجانب الفرات ضمآنا.

آخر الفصول

لم يكن تأكيد الإمام السجاد عليه السلام على تركيز النهضة الحسينية في أذهان الأمة مختلفاً عن باقي الأئمة من أولاده وأحفاده وهذا يدفع إشكال كون تركيز الإمام السجاد عليه السلام على الواقعة لحضوره بها وعدم مفارقة صور الفاجعة الأليمة لذهنه، فبقية الأئمة لا يوجد هذا الشيء بحقهم -ما خلا الإمام الباقر ع- لكن مع ذلك نراهم يركزون على النهضة الحسينية ويأمرون أتباعهم بإحياء الذكرى بإقامة المآتم والبكاء ونظم الشعر، ونعثر في روايات أهل البيت عليهم السلام على الحث على التشبيه. فالإمام الصادق عليه السلام يدخل طفله الرضيع وسط المأتم ويقول: هكذا كان عبد الله الرضيع، فجل الشعائر الحسينية المنتشرة بين أتباع أهل البيت عليهم السلام أخذت من الأئمة عليهم السلام مع حثهم الأكيد عليها وبشارتهم بالثواب الكبير الذي ينتظر الباكي على الحسين عليه السلام أو القائل بيتاً من الشعر في الحسين عليه السلام أو الزائر قبر الحسين عليه السلام وغير ذلك، وقبل ذلك ورد التأكيد على هذه الشعائر على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله أي أنه صلى الله عليه وآله هيأ أذهان الأمة للنهضة قبل أن تظهر على مسرح الأحداث بأكثر من خمسين عاماً على الأقل فنرى أن تأريخ المسلمين يسجل إن إحدى معجزات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إخباره بما يجري على الحسين بكربلاء وإتيانه بتربةٍ من تلك الأرض المقدسة ونزول ملكٌ بعد آخر لإخباره صلى الله عليه وآله وبكاؤه وإبكاؤه على ذلك وفي ذلك روايات كثيرة منها ما رواه أحمد بن

حنبل عن أنس بن مالك: «أن ملك المطر استأذن ربه أن يأتي النبي ﷺ فأذِنَ له، فقال: {النبي} لأم سلمة: أملكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد، قال: وجاء الحسين ليدخل فمنعته فوثب فدخل فجعل يصعد على ظهر النبي ﷺ وعلى منكبه وعلى عاتقه قال: فقال الملك للنبي ﷺ: أتحبه؟ قال: نعم، قال: أما إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيهِ فضرب بيده فجاء بطينةٍ حمراء فأخذتها أم سلمة فصرتها في خمارها»[1]، وتحدثت سلمى قائلة: «أنها دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ -تعني في المنام- وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: شهدت مقتل الحسين آنفاً»[2].

وروي عن ابن عباس أنهُ قال: «رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم منتصف النهار وهو قائمٌ أشعثٌ أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل التقطه منذ اليوم، فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قتل في ذلك اليوم»[3]، فترى الرسول ﷺ حاضراً وبهذه الهيئة «أشعث أغبر» ودوره «يلتقط الدم» ومما يدل على ذلك إن علياً الأكبر لما بلغت روحه التراقي نادى رافعاً صوتهُ: «يا أبتاه هذا جدي رسول الله قد سقاني

(١) - المسند: ٢٤٢/٣.

(٢) - الجامع الصحيح: الترمذي: ١٩٣/١٣.

(٣) - مسند أحمد بن حنبل: ٢٨٣/١.

بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبدا وهو يقول العجل العجل»[1].

وعلى هذه السنّة فإن قائم آل محمد الإمام المهدي عجل الله فرجه فإنه يخرج يوم عاشوراء، كما قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «كأنّي بالقائم يوم عاشوراء يوم السبت قائماً بين الركن والمقام بين يديه جبريل ينادي البيعة لله»[2]، ليعلم أن هذه النهضة من تلك النهضة بل هذا الفصل الأخير من تلك الفصول ويتوجه إلى كربلاء ويجدد العزاء والذكرى ويكون أنصاره هم أبناء الخط الحسيني ويقف قبالهم أولياء الشيطان فلا يخلو زمان من هذا الخط ولا ذاك، ومن مميزات عصر الظهور أنه عصر النصر النهائي لخط أولياء الله على خط أولياء الشيطان وقد أخبر الإمام الرضا عليه السلام الريان بن شبيب قائلاً عن يوم عاشوراء: (ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصرهِ ووجدوه قد قتل فهم عند قبره شعثٌ غبرٌ إلى أن يقوم القائم فيكونون من أنصاره وشعارهم: «يا لثارات الحسين»[3]

اللهم اجعلنا معهم في الدنيا والآخرة

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) - العوالم: ٣٠٤.

(٢) - الغيبة: للطوسي: ٢٧٤.

(٣) - الأمالي: للشيخ الصدوق: ١٩٢.

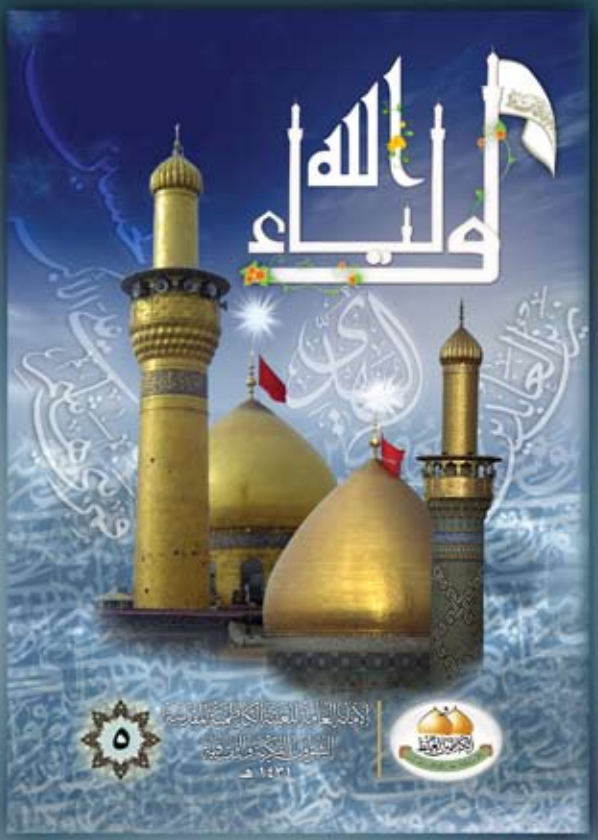

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
راسلونا fikriya@aljawadain.org
زورونا www.aljawadain.org